

ربيع علم الدين يغزو الرواية الأميركية بـ«الأيديز» والحرب

□ كم يبدو مثيراً أن يكتشف القارئ العربي كاتباً عربياً ينعم بالشهرة في الولايات المتحدة الأميركية وتُدرس رواياته في بعض جامعاتها فيما هو مجبول تماماً عربياً.

ربيع علم الدين الكاتب اللبناني المهاجر أو «المنفي» بات يعرفه الكثيرون من قراء الانكليزية بعدما خاض تجربة الكتابة الروائية بجرأة ما كان ليتخطى بها لو كتب بالعربية. الصحافة الأميركية احتفت به ووجدت في أدبه نبرة خاصة وصوتاً مختلفاً. إلا أن ما ساعد هذا الشاب اللبناني الذي اختار الحياة نهائياً في سان فرانسيسكو هو الموضوعات الشائكة التي يتطرق إليها في رواياته وقصصه وفي مقدمها المثلية ومرض الإيدز والحرب اللبنانية... تأسره الأميركي أعلن قبل فترة انه مصاب بالإيدز مثل بعض شخصياته الروائية. لكن هذه الإصابة لم تثنه عن مواصلة شغفه بالكتابة التي انتقل إليها من عالم الرسم، وقبل فترة أصدر علم الدين رواية جديدة معبراً فيها عن مرارة الوجودية. هنا قراءة في عالم ربيع علم الدين وفي تجربته.

لم يمض على دخول الفنان اللبناني ربيع علم الدين عالم الكتابة بالانكليزية سوى ما يقارب الخمس سنوات، غير انه، ومنذ صدور روايته الأولى «كول ايديز: فن الحرب» Koolaid's: The Art of War, Picador, 1998 استطاع ان يمتدح على اهتمام الوسائط الثقافية والأكاديمية في الولايات المتحدة والعالم الإنكليزوني. فعلم الدين الذي يكتب باللغة الانكليزية التي يتقنها منذ بناه، وجد في الكتابة ما يشبه حال الخلاص من المعاناة التي وسعت حياته كلها فهو يكتب عن المثليين، كما عن مرض الإيدز والهوية الضائعة والمنفى. وفي غمرة هذا العالم المضطرب يكتب عن الحرب اللبنانية كما لو انني لا استطيع ان أكتب عن اي شيء آخر، يقول في إحدى مقابلاته، «مضيفاً، «الحرب متغلغلة في كل زاوية من حياتي، كانت الحرب بمثابة الصدمة التي جعلته يعيد النظر في مفهوم الحياة نفسها وفي نظريته إلى الإنسان والجماعة والانتقام...»

أعمال ربيع علم الدين تدرس اليوم في الكثير من الجامعات الأميركية ومنها جامعة نيويورك، اوهايو، كاليفورنيا، وكذلك في الجامعة الأميركية في بيروت. وهي موضع دراسات أكاديمية متخصصة، ويات بحظى بمجهور كبير من القراء الذين يتابعون أعماله. غير ان اسمه ما زال غير مألوف إلى ان يكن مجهولاً تماماً عند القراء العرب. وقد يعود هذا إلى كونه يكتب أولاً بالانكليزية ثم يتطرق إلى شؤون ما زالت تعتبر من المحرمات في المجتمع العربي. وإن كان ربيع علم الدين لبنانياً فهو ولد في الأردن وعاش طفولته مستقلاً بين الأردن والكويت ولبنان، وأضى بعض سنوات الحرب في طوله ثم انتقل إلى الكويت، في السابعة عشر من سافر إلى سان فرانسيسكو وسماحيته وطناً نهائياً في... لكن الرواية في المقابل قد تكون رواية سياسية بامتياز، فهي تتناول لعبة الأحزاب والشخصيات السياسية اللبنانية - والعربية أحياناً - وتفضح بعض ما نسب إليها من الأفعال. صصحح ان Koolaid's تنطرق إلى قضية المثلية وممرض الإيدز تناولاً



ربيع علم الدين.

واضحاً، وصحيح ان البعض انرجها في خاتمة الأب المثلي لكن هذه الرواية تضم ما يتخطى هاتين القضيتين على رغم تعقدها فهما إلى حد ابرازهما كزعتين منسويتين. ويبدو من الصعب حصر هذه الرواية ضمن خاتمة واحدة أو حتى ضمن شكل واحد. فهي رواية مفتوحة على قسمايا العصر (سواء الفانتام ام الراهن) وشروبه وخدياته، شغفاته نفسه على اكتشافات روائية متعددة.

تدمج رواية كoolaid's إذا بين تجربة الحرب اللبنانية ووباء الإيدز في الولايات المتحدة الأميركية. فالحرب والمرض وجهان لعملة واحدة. إنهما، كما ينشر علم الدين يجعلان المرء على مقربة من الغناء، ولكن في المرض تستطيع ان نومه أنفسنا باننا نتحكم بحياتنا... بينما هذا يستحيل في الحرب، يقول. ويروي علم الدين بلغة تمكينية وساخرة، حياة أشخاص يعيشون يوماً على المفقرة، مفقرو أزمانهم وحتى مفقرو موتهم. وهذا المفقرو التراخي يفتح علاقة ملتزمة مع الواقع. بل هو يدسر الواقع ويجعله مجموعة من الشظايا. فالكل يرسم واقعهم كما يشاء، والكل يروي الحقيقة كما تستسيغها نفسه. وبالخصص تحوي هذه الرواية طبقات مختلفة من الحقيقة والواقع، وكل هذه الطبقات خاضع لتلقاق الموهن والتغشير، إن كان هناك من قانون وسط هذه الحال المتهاقمة. كان



الكتاب الذي كتبه ربيع علم الدين.

الوجدانية أو في اللاوعي الفردي والجماعي بغية أضاءة تلك الدواخل التي تتحكم بالإنسان. اما قصة «العاهرة»، فهي، على عكس عنوانها، تتناول علاقة فنانة مع محيطها وعائلتها وما ينتج عن هذه العلاقة من احساس بالوحدة وعدم الانتماء، وعلى غرار روايته الأولى، ينصرف المؤلف في هذا الكتاب إلى اختبار اساليب وأشكال ادبية مختلفة في قصصه الثماني، وأحياناً يستغرق في القصة الواحدة اختصاراً سردياً وبنائياً، فهو لا يخفي نزعة إلى التجريب الشكلي.

اما احداث رواياته I, the Divine: A Novel in first chapters. Weindenfeld & Nicolson، فهي كما يشير العنوان رواية بفصول اولي. يبدو علم الدين انه رواية تسدا ولا تنتهي. إنها رواية تحكي سيرة متخيلة لغفانة لبنانية - أميركية تدعى سارة. وسارة هذه تعاني بشدة ومرارة عمق الكتابة. إنها تريد ان تكتب عن الحرب اللبنانية، عن انتحار ام، عن جنون اخذ، عن زيجات فاشلة وهوية ملتبسة... أو ربما هي تريد فقط ان تقول للقارئ ولنفسها: ها انا هنا. ولكن ما ان تبدأ بكتابة الفصل الأول من هذه «المذكرات»، حتى تجد ان المذكرات هذه «تساريني طوال الطريق».

فقطر البطة إلى ان تعيد كتابة الفصل الأول بأسلوب جديد وطريقة أخرى ولغة مختلفة... وهكذا دواليك، وسرعان ما تنتهي الرواية من نون ان تنهي سارة أيا من الفصول الأولى. بل على العكس تتحول الرواية بمقدمة جديدة تصوغها البطة مرة أخرى كمشروع لمذكرات، التي فيها رواية بدت انها حصلت نجاحاً ملحوظاً.

يعترف ربيع علم الدين ان فكرة I, The Divine، مستوحاة من رواية الكاتب الإيطالي إيتالو كالفينو وعنوانها «إذا مسافر في ليلة مسطرة» A traveler Night، أ traveler

«الجدّة» بطلة ديوان الشاعر الأردني أحمد النور

/ ما بين ذلك السرير إذ يحده الضيق / وعزّة / الأرواق فوق الطاوله... / وفي اعتراف / أو وصف - لهذه الثنائية التي تحكم الغدب، والمتصلة بدمج أرواق الهو بالأنا لتلا تعرف الخوف الذي يتمك أحداً ما، فصنع عن «القناع، وكيف هو السبيل للتكتم على قسوة الأفتقاد:» أخرج من الغرفة التي لا تحيد / متمثلاً الزائفة على قسماات الوجه المراهق...»



أيه سنتهب الجدة الأخرى أم قبل

لا يتخذ رمز «الجدّة» مجرد التعلق بمرتكز الحكاية الأصلي، الراوي الأول، ضامن الأب وسارد الإبن، بل يتجرس، قليلاً، ليحمل معنى إنسانياً أصلاً، ما سر هذه اللغة الهاربة من الأتعاء وتضخيم الأنا: «با هذا الباحث عن الجوهر من العصر، ما للعقل» - عبارة «نثار العصر» تفضح عن النظام الكتابي - بل والمعرفي في وصفيته الشاعر وحيداً، وسرديته، فهو من خلال التفصيل - النشار - يتكلم على جوهه مفقود: «غزال الرئة / التائه في الصحراء / حذني بعينيه الواسعتين / مختبراً من أتعاء المتألمة / هاراً رأسه الكبير بقدر كاف / يسمح بفك اشتباك أفكاره...» كذلك فإن هذا الغزال يعبر «الإشارة الضوئية» بلا حكمة، وهو «مليء» بخسارات غير.

في قصيدة «أين سنتهب الجدة الأحد المقبل، تنجرح النبئة معلنة عن تشكّلها: «سنتقال منكم ما قريب على ما تقال وما لا يرى، وهذا المصدر الذي كان أساساً للاحساس بالافتقاد فهو مكان «مقلّ أبدأ»، وما الذي يحدث «حين في المساور، وما هي الصورة الكاملة للمصدر» - الصورة تتوسق بعينيه ما يحدث وما لا يحدث، حتى أنه لم يعد خائفاً من البسوح بسره: «كشافات للفقدان» كذلك مفهومه للزمن يدخل في سبب المشكلة: «ضلالة المُرْحِلين لن تأخذني تحت سماه صف» هذه العلاقات المتوازية في كتابة أحمد النور، جعلت من القراءة فعلاً يتجاوز الوصف إلى الافتقاد، على اعتبار سلف ذكره بان القراءة اختيار في الأساس، ولغة الشاعر التي تخلصت من صخب الأنا، من نون ثورة، ومن دون بلاغ انقلاب، بل بانتقال سلمي لغة الشعر، من الأنا إلى المكان، من خشافة الاختلاف إلى السرد، هي لغة شعر تفتت أليحاء والمكان والفتت يموت في خطوة وحيدة وفاصلة

الشاعر، أي انها خيالية من أفعال التجديد والهدم، وقد تقدّمت بهوء، من دون أي جلبة تذكر، لتلا تشير رقاية الوسيط - الأب: «فسي البشار المتصاعد من قاطرات سكك الحديد / عبر خطوط اللاسلكي التي تمتد بين الجبال وتمعن في المجهول / في الضباب الهابط نباتات العواصم التي يذفها المشردون...»

من قوة المحن عن كفاية الإحساس بالأمن، يحمل النور أشياء الخارج ما يمكن ان يتحدث بدلاً منه، ستظهر لغة الكتاب كلها تلقائية، سرديّة، تصف وتجمع وتولد الدلالة التي يوسع الحفيد التثقل لها ساعة يشاء: هناك نهر وجوه وسور وعثقة / ومياه تحاول الوصول إلى خافة رصف / وغيوم سوداء في سماء العيون الجميلة / ومعاطف الرالي المتعلجن لقرارة الأسرة العريضة / هناك / ومضة عبيون لن أنساها...»

كذلك يأتي ضمير الغائب المخاطب، ليكون النهو، صورة عن الذات، لكن الحفيد الباحث عن الجدة لا يمتلك المفردة على الاعتراف: «هناك نافذة وأسير الجديّة» يكتب رسائل التي من لا يعرفهم... ويعين الكاميرا التي تحلّل الصورة مفزى الكلام والأنا يتابع الحديث عن الدهو، كما لو ان الأنا ظفرت بمنزها المفقود: هنا، وفي الجملة الأخيرة ومضة عبيون لم يسبها أبدأ «تفصح» الوثائق، كيف ان «الهو» صورة الأنا نفسها لأنه منذ لحظة واحدة قال: «ومضة عبيون لن أنساها!»؛ وفي الوقت الذي تبني الصال ووصفها بنقل الدلالة إلى الغير، فهو يوّجّل تحقيقه ريثما يتم الكشف عن المكان الذي ستذهب الجدة إليه الأحد المقبل: السؤال عن الماضي، لأن لحظة الشاعر مشوبة بالارتجاج: «بيضاء في الدفتر / نحن إلى الكلمات / والعمر الغراق في الإحلام / يقبلته الوقت الدامي بالحسرات / فماذا يفعل».

ان قوة الإحساس بالافتقاد تتعكس على الخارج، فيقرأ أشياء العالم كما لو انها حالة الأنا: «السماء التي تهرب من الأفتقاد: تحنّ للفصول المنظفة / وغداء يوم الجمعة / وشمس البلاد العميدة...» وكبحا لتنبس الأبرار يمزج الشاعر العالم عن مجمل أهدافه، فهو استخدمه كرمز ليس إلا: «الأخر نجمة في الأرض ليس يكتب عن ماذا؟» عن ذلك الذي يموت في خطوة وحيدة وفاصلة

«شارع المتنبّي» صورة عن مأساة الثقافة العراقية



□ عمان - علي عبدالأمير

■ أصبح «شارع المتنبّي» في بغداد وفي السنوات التي أعقبت حرب الخليج الثانية العام 1991، ملمعاً بارزاً من ملامح الثقافة العراقية، ان لم يكن ملمعها المتحرك الوحيد. هو المكان الذي عرض ويعرض فيه الكتاب والأدباء والمفكرين وأبناء الطبقة الوسطى في العراق مكتباتهم الشخصية لبيع ومواجهين عائلة العوز والحاجة، تطلما هو مكان بيع الجديّد في عالم الكتب والمراج والبورويات بعد ان تتولى مكاتب التصوير، «الاستنساخ» نسخ الخناز عن الأصل ويعيها بسعر زهيد بقدر عليه المهتمون بمتسابعة الجديّد والنادر و«المفوع» أيضاً. والى جانب هذا فـ«شارع المتنبّي» طقس خاص، يجد فيه الماسورون بالثقافة ضالّتهم، فطمة المقاهي واللقاءات والحوارات التي تظاول كل شيء يجعل العراق في مركزه.

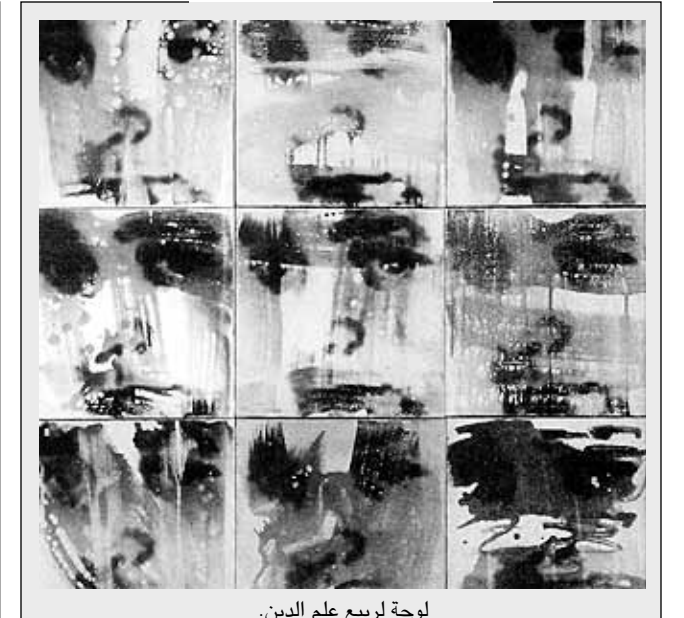
«فناة العراق الفضائية» توقفت عند هذا الملح الذي يكون «شارع المتنبّي» فخصته بيرنامج ثقافي يسمى إلى «إبراز دور المثقف العراقي» وتسلط الضوء عليه، من خلال حوار معه، أو الحديث عنه وعن نتاجه تعريف المشاهد العربي بالمنجز الابداعي العراقي الذي يتواصل مع حالات النهوض الأخرى في المجتمع، كما تشير إلى ذلك صحيفة «الجمهورية» الغدافية. «البرامج يحمل عنوان «نحن» في شارع المتنبّي، ويعدّه ويقدمه الشاعر والمتحدث الذي هم من الكتاب عبدالمجيد وخرجه جاسم النهي، وهو يعطي انطباعاً عن المثقف العراقي، ويشرح الوصل الهل عبر «شارع المتنبّي» الذي بات مكاناً يلتقي فيه الأديباء والمبدعون العراقيون في كل يوم جمعة،

أدب الأيديز... واللجنة

■ في يكدي يلعب في العام 1993 نجم كاتب فرنسي شاب يدعى سيريل كولز حتى وافاه الموت. كان هذا الشاب وضع للحين رواية عن مرض الأيدز عنوانها «اللبيالي الوحشية»، وقبل ان تصدر الرواية في كتاب استوحاها في فيلم سينمائي حصد الكثير من الجوائز. لكن الكاتب الشاب لم يتسن له ان يعبر بمثل هذا النجاح السريع إذ سرعان ما وقع ضحية مرض الأيدز تاركاً وراءه روايته الرهيبة والفيلم الرهيب أيضاً. ويعيد عيابه راج الناشرون يبحثون عن أي سطر كتبه ووجدوا ما يشبه «اليوميات» التي دون فيها معاناته الأليمة إزاء «مرض العصر».

قد لا تكون صورة الكاتب اللبناني ربيع علم الدين، المجهول لبنانياً وعربياً، غريبة عن صورة الكاتب الفرنسي سيريل كولز. فهما جاءا إلى عالم الكتابة عن مرض «الأيديز» - إذا صح كلام الناشر الأميركي عن إصابة ربيع علم الدين بهذا المرض - بل هما لم يتعرفا إلى الكتابة إلا كأداة لمواجهة لهذا المرض المرعب وكوسيلة تعبير عن الألم المصنّ الذي يتحرك في الروح والجسد معاً. لعلّ الموت البطيء الذي يغزو المصاب فيفصر نفسه على حافة الهاوية الرهيبة، وحيداً ولو كان محاطاً بالآخرين، ملمعاً ولو كان بريئاً، ذليلاً ولو كان من النبلاء. سيريل كولز جاء إلى الكتابة من الموسيقى والسينما وتشبّت بقلبه وأوراقه في أيامه الأخيرة ليكتب تلك اللحظات القادرة على جعل المأساة القدرية وأقعا حياً. أما ربيع علم الدين فجاء الكتابة من الرسم والهندسة ووجد أمامه الكثير من الوقت ليواجه مأساته المزروجة بل من المتصاعفة ويكتب ليس عن مرض الأيدز فقط بل عن «عالم الأيدز» وهذا عالم أشبه بالعالم السفلي تبعاً لما يحفل به من خوف وياس وقسوة وعبث وألم، وتبعاً لما يشهد المصاب به من عزلة داخل الحياة والتقاليد والمجتمع. فالصاحب بهذا المرض سرعان ما واقع له التهمة فيفسر عن قرارة نفسه بما يشبه الندم الحارق أو الخيبة. سيريل كولز يهدي روايته إلى أهله مواسياً إياهم مسيقاً، بينما يستمتع ربيع علم الدين والغفران على مرضه «الفضائحي» في مستهل إحدى رواياته.

ربما لو لم يهاجر ربيع علم الدين إلى الولايات المتحدة لما استطاع ان يكتب ما كتب مستحيلاً خلال نحو خمس سنوات كاتباً ذا شهرة. فقصبة «المثلية» من زالت من الموضوعات المحرمة - أو شبه المحرمة



لجنة لربيع علم الدين.

بعض ما قيل في روايات علم الدين

■ ربيع علم الدين هو من أجرأ الكُتّاب، جريء، ليس في المعنى الرخيص والمثير... بل كجراح وفيلسوف ومستكشف أو حتى كراقص. في هذه الرواية يجازف بمرآته الكبرى حتى الآن، وينجح بامتياز - في عمل موسوم بانتكار شكلي جذري - بان يكون دافئاً وحزيباً، مضحكاً ومثيراً للشاعر، وفوق كل هذا بان يلقى الضوء على حياة ما زالت مختبئة حتى الآن.

ميكائيل شامبون (روائي اميركي فائز بجائزة بوليتزر)

● رواية رائعة، سارة وفريدة بطريقة لا تقاوم، مضحكة ومذهلة... وبنية الرواية هي من الإبداع الأبيد... لقد احببت قراتها، احببتها كثيراً لدرجة انني سافراً مرة أخرى...

● ربيع علم الدين يتحدث بدرجات متوازية من الغضب والحب. والرواية قائمة ومضحكة، ناسئة ومثقتة، واخيراً وفي حقيقتها غير الملثة، تؤكد: «في وسط هذا الجنون، انا هنا، نحن هنا».

متنّ جونسون (كاتب اميركي)

● هذه رواية على كل اميركي ان يقرأها Koolaid's تصل بوضوح تام لأن المضمون يعكس الحاجة إلى العدل. هذا نوع من الكتابة التي ستحول الثقافة الأميركية.

سارة شولمان (كاتبة اميركية)

الجديد فيما ظهر الشاعر والفنان مؤيد البرنامج كـ«أحد المواطنين» بحسب معد البرنامج ومقدمه، مما يدل على ضعف معرفته بحال الثقافة العراقية وبالرفاهية التي يعيشها في العراق. وإن قدم في اللقاء معه مؤشرات واضحة على علاقته العميقة بالكاتب بصفتها رسالة معرفية، وعلى المعنى الذي بات الثقافة المتنبّي، يكون هي الثقافة العراقية إلا ان مقدم البرنامج اصر على تجاهل ما قدمه الشاعر والتشكيكي ومصصم الأزياء المرهف، وأرضي للمحبري المتبسم والاتبقي، وصف «أحد المواطنين».